

## ثقافة العمل التطوعي

\*مقدمة:

لا يخفى على ذي بصيرة من الفاحصين للمجتمعات مدى الدور الذي يقوم به العمل التطوعي في التأثير على المجتمع وتطوره على الصعيد الفردي الخاص والاجتماعي العام، فقد يقاس مدى فاعلية المجتمع وقوته من خلال نمو العمل التطوعي فيه، كما أنه تكاد تكون المجتمعات التي تغيب عنها تلك الثقافة مجتمعات راكدة القوى لا يمكن لها أن تشهد تقدماً في أوساطها على الصعيد المختلفة.

فالتطوع ظاهرة إنسانية إيجابية منتشرة في أوساط المجتمعات الإنسانية تهدف إلى توثيق الروابط المجتمعية من خلال التكافل بين أبناء المجتمع في مختلف مجالاتهم وتخصصاتهم في سبيل خدمة القضايا الاجتماعية والإنسانية والاتقاء بمكونات المجتمع بما يعود على ذلك الوسط بالاستقرار والتطور المستمر.

## \* نظرة على مفهوم التطوع :

- التطوع لغة : تفعل من الطاعة، وهو ما تبرع به من ذات نفسه مما لا يلزمه فرضه .

- الاصطلاح الشرعي : يطلق على الأعمال والعبادات التي لا يحبها الشرع دون أن يعدوها فرضاً واجباً على المكلف وهي النوافل والمستحبات كما في قوله تعالى ﴿ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ﴾<sup>١</sup>، أي من زاد على المقدار الواجب .

- الصعيد الإجتماعي فيقصد من التطوع : ذلك الجهد أو الوقت أو المال الذي يبذله الإنسان في خدمة مجتمعه دون أن يفرض عليه، ودون انتظار عائد مادي في القابل .

## \* التطوع في تراث الأنبياء :

من المهم جداً الإلتفات إلى أن ثقافة التطوع قد تطرق لها الدين واعتبرها جزءاً من ثقافته التي يدعو إليها الإسلام من خلال القرآن الكريم من فعل الخيرات والتسابق إليه كما في قوله تعالى

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

فَدِيرٌ ۝ ١٤٨ ﴾<sup>٢</sup>، وقد مارس الأنبياء عليهم السلام هذه الثقافة في عصورهم وبمختلف أشكالها، وهي سمة من سماتهم التي تحدث القرآن الكريم عنها في عدد من آياته الشريفة، ولم يقتصر الحديث القرآني عن التطوع الذي قام به الأنبياء عليهم السلام على صورة واحدة من صور التطوع إنما عرض صور متنوعة للتطوع ككفالة الأيتام، ومساعدة المحتاجين، والوقوف على الضعفاء والمساكين، وخدمة المصالح العامة للناس، وبما أن الدين هو المنهاج القويم الذي يقود الإنسان إلى مرحلة التكامل ليستخلف الله تعالى في الأرض، والقرآن كتابه يمثل المنهج الذي ينقذ من الضلالة ويرسم ملامح العيش الهانئ في الحياة الدنيا، وقد وردت هذه الثقافة في آياته التي جسدها أنبياء الله عليهم السلام، ينبغي أن نتأسى بهم عليهم السلام في مقام الاتباع، وسأذكر بعض الأمثلة حول مآذره القرآن الكريم من صور التطوع الذي قام به الأنبياء عليهم السلام.

١. كفالة نبي الله زكريا عليه السلام لمريم بنت عمران : قال تعالى ﴿ رَبُّهَا يَقْبُولُ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ <sup>٣</sup> ، والكفالة الواردة في الآية المباركة هي الرعاية والتربية وتوفير الاحتياجات، وهذا ما فعله نبي الله زكريا عليه السلام لمريم بنت عمران حيث تكفل رعايتها.

٢. نبي الله موسى عليه السلام يساعد المحتاجين : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سَقْيَ حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ <sup>٢٣</sup> فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ <sup>٢٤</sup> ، وفي هذه الآية المباركة يشير القرآن الكريم إلى مساعدة نبي الله موسى عليه السلام لإمرأتين كانتا تستسقبان لرعي أغنامهن، وكان الشبان يقفون أمام منبع الماء، وهما ينتظران من بعيد، فلما رآهما موسى عليه السلام تطوع بمهمة سقي الماء لهما، وهن بنتي نبي الله شعيب عليه السلام.

<sup>٣</sup> آل عمران: ٣٧

<sup>٤</sup> القصص: ٢٣ - ٢٤

٣. نبي الله يوسف ﷺ يتطوع ليكون مسؤول المالية :

كان يرى نبي الله يوسف ﷺ في نفسه الأهلية لتحمل  
المسؤولية المالية كما في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْوِنِي بِهَذَا اسْتَحْلَصَهُ  
لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ  
الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

### \* أمثلة من الواقع :

تعج المجتمعات الغربية بالكثير من المؤسسات والهيئات  
التي تعمل بنظام التطوع في مجال اخدمات الإجتماعية والإنسانية،  
ففي الولايات المتحدة الأمريكية هناك ٣٢,٠٠٠ مؤسسة خيرية  
بلغت ممتلكاتها عام ١٩٨٩م أكثر من ١٣٨ مليار دولار، كما شارك  
في العمل التطوعي حوالي ٩٣ مليون أمريكي يشكلون ٣٠٪ من  
مجمل الأمريكيين، ينفقون سنوياً ٢٠ بليون ساعة في العمل  
التطوعي لصالح الأطفال والفقراء والتعليم وقضايا أخرى.  
كما تبرع مؤسس CNN (تيد تونر) بثلاث ثروته للمنظمات  
الإنسانية في الأمم المتحدة ويساوي مبلغ مليار دولار، وقال (تونر)

أن زوجته شاركته في القرار وفرحت به، وبعنب ذلك أنها لم تعترض ولم تمنع من التبرع بحجة إبقاء المال لأولادها، وهذا يشير إلى أن التطوع أصبحت ظاهرة وسمة بارزة يتمتع بها المجتمع الأمريكي وأصبح من ضمن ثقافته.

وأما في فرنسا، ففي أحد تقارير الجمعية الفرنسية للشؤون الإجتماعية أن ١٠ ملايين ونصف المليون فرنسي يتطوعون في نهاية الأسبوع للمشاركة في تقديم خدمات اجتماعية مختلفة تخص الحياة اليومية من مجالات مختلفة كالتربية والصحة والبيئة والثقافة والترفيه وغيرها.

### **\* والسبب الدافع له :**

تنطلق الدافعية للتطوع من منطلقات عدة تختلف بحسب مبتنيات الإنسان الفكرية والبعد الإدراكي المتمثل بالوعي حول التطوع، فتأرجح هذه الدافعية لظاهرة التطوع في المجتمعات بين الدوافع الخيرة الموجودة في أعماق كل إنسان، وبين الأغراض المصلحية والمكاسب المادية التي يسعى إليها آخرون، ولكن ارتبط التطوع ارتباطاً مباشراً بالمعاني الإنسانية السامية من خير وعمل

صالح عن المجتمعات المختلفة، وبذلك تكون الإشارة إلى العمل التطوعي هي إشارة إلى الدافعية الخيرة التي تنطلق من النفس الفطرية للبشر والتي تميل دائماً -انطلاقاً من فطريتها- إلى الخير والصالح.

ويمكن الإشارة إلى عدد من الدوافع التي تدفع باتجاه التطوع المجتمعي ومنها :

١ . البحث عن النشاط المطوّر للمهارات والمتعة.

٢ . الرضى عن الذات بعد معرفة هدفية الوجود.

٣ . الحاجة إلى التفاعل الإجتماعي نتيجة الطبيعة الفطرية للإنسان والتي تتجه نحو تكامل المجتمع بتفاعل عناصره مع بعضهم البعض

﴿ نَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ

دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَيْكَ خَيْرٌ مِمَّا

يَجْمَعُونَ ﴿٦﴾

٤ . المسؤولية الإجتماعية.

ومن الممكن أن نربط هذه الدوافع بهرم الاحتياجات لماسلو والذي يقسم احتياجات الإنسان إلى خمسة احتياجات أساسية وهي : ١ . الحاجة لتحقيق الذات ٢ . الحاجة للتقدير ٣ . الحاجات الإجتماعية ٤ . الحاجة للأمان ٥ . الحاجات الفسيولوجية.

والتي يتبين من خلال استعراض هرم ماسلو للاحتياجات أن أربعة من أصل خمسة تتحقق من خلال العمل التطوعي، أو من الممكن الحصول عليها من العمل التطوعي وبذلك يكون الإنسان قد تحققت احتياجاته من خلال هذا التطوع.

### \* عزوف البعض عنه :

فيما يلي نذكر بعض المعوقات أو الأسباب التي تدفع إلى عزوف المجتمع عن التواجد في ميادين التطوع المختلفة والتي لم تعد ترى إلاذ في المجتمعات الغربية بحث أصبحت جزءاً مهماً من ثقافتها لايمكن أن تتنازل عنه، ولا يخفى على أحد أن المجتمعات العربية لم تصل إلى حد إعتبار التطوع ثقافة متصلة في المجتمع إنما هي حالات فردية هنا وهناك ويكاد تكون محدودة التأثير، ومن



خلال الوقوف على تلك الأسباب من الممكن التوجه إلى التغلب عليها وتعزيز أسباب تواجدها حية بين أفراد المجتمع، وأسباب العزوف هي :

١. الاستغراق في الحالة الذاتية، فينصرف الإنسان إلى خدمة مصالحه الخاصة دون أن يعبأ بخدمة مصالح الآخرين.

٢. تعدد الإهتمامات والأنشغالات التي تحول دون التفرغ للعمل في ميادين خدمة المجتمع.

٣. المعوقات والمثبطات المادية والمعنوية.

## المصادر:

١. الصفار، حسن: العمل التطوعي في خدمة المجتمع. ٢٠٠٤. أطياف للنشر والتوزيع. المملكة العربية السعودية
٢. اليوسف، عبد الله: أفكار في العمل التطوعي. ٢٠١١. ط١. أطياف للنشر والتوزيع. المملكة العربية السعودية
٣. اليوسف، عبد الله: التطوع في سيرة النبياء والأئمة. ٢٠١١. ط١. أطياف للنشر والتوزيع. المملكة العربية السعودية
٤. الدوافع الشخصية وراء العمل التطوعي بين المتوقع والواقع. المركز الفلسطيني للإرشاد. ٢٠٠٩